السيرك

تأليف:

إثول فوجارد

ترجمة:

سعاد عبدالله

المقدمة

وقعت أحداث المسرحية فى عام ١٩٨٩، بضاحية من ضواحى مدينة كيرو فى جنوب إفريقيا، بعد انتهاء الحروب التى اندلعت فى الفترة بين عامى ١٩٦٦، ١٩٨٩ بسبب الخلاف على الحدود الإقليمية. فعند حدود جنوب إفريقيا نشبت الحرب بين جيش الدفاع عن جنوب إفريقيا وقوة شرطة جنوب غرب إفريقيا. أما فى إقليم جنوب غرب إفريقيا الذى يسمى حاليا بإقليم «ناميبيا» فقد نشبت الحرب بين حلف شعوب جنوب غرب إفريقيا وتسانده فرق من الجيش الكوبى وقوات عسكرية روسية.

ويتكون حلف جنوب غرب إفريقيا من الدول التى أشرفت عليها حكومة جنوب إفريقيا بعد الحرب العالمية الأولى. وقد تكبدت هذ الدول خسائر فادحة فى حروب العصابات التى خاضتها فى غابات جنوب غرب إفريقيا وفى صحرائها القاحلة. واستقلت هذه الدول فى عام ١٩٨٩ بعد إشراف الأمم المتحدة على الهدنة والانتخاب الحر. ومن ثم تطلعت شعوبها إلى النمو والتقدم.

قد أكد المؤلف إثول فوجارد فى مسرحية «السيرك» أن السلام فى جنوب إفريقيا لن يتحقق إلا بسياسة الوفاق بين البيض والسود. وجسد هذه الفكرة فى المسرحية من خلال العلاقة بين شخصيتى جيدون لى رو ومارتينوس زولو. ويحرك الأحداث صوت من خارج المسرح هو باركنج بارنى. أخرج فوجارد المسرحية فى عام ١٩٩٢ لعرضها فى مسارح جوهانز بيرج بجنوب إفريقيا، كما عرضت المسرحية فى نفس العام فى الولايات المتحدة بإنتاج مشترك للمسارح الثلاثة: لاجولا واليانز وأطلنطا.

ثم أعاد مسرح لاجولا إخراج المسرحية لعرضها فى ليسيوم وسان ديجو.

وعرضها مسرح اليانز فى مهرجان إثول فوجارد بأطلنطا. وفى عام ١٩٩٣ عرضت مسرحية «السيرك» فى لندن وما نهاتن ونيويورك.

ولد المؤلف المسرحى إثول فوجارد عام ١٩٣٢ بمقاطعة كيب فى جنوب إفريقيا. وقد درس الفلسفة والأنثروبولوجيا وميكانيكا السيارات واكتسب خبرة كبيرة. وهو يعمل بالتأليف المسرحى والإخراج والتمثيل منذ أواسط الخمسينيات. وكتب مسرحيات عديدة منها: «رباط الدم» - «مرحبا ووداعا» «بوزمان ولينا» - «السيد هيرالد» - «الصبية» - «الطريق إلى ميسكا» - «درس من الوز» - «مكان مع الخنازير» - «أبنائى» - «إفريقيا بلدى».



المشهد الأول

الزمن: ليلة رأس السنة. عام ١٩٨٩. قرب الغروب.

المنظر: (سرادق لسيرك عند ضاحية من ضواحى مدينة كيرو. به لافتة كبيرة «الملاهى». لافتات أخرى صغيرة بألوان صارخة تعلن عن برنامج الحفل، منها العجلة الدوارة، جدار الموت، القطار الشبح إلخ... إلخ ... إلخ ... تحيط بها مصابيح تبعث أضواء ملونة. عمود فى نهايته ميكروفونات تعمل ببطاريات. فى مقدمة السرادق حجرة الخفير. وهى عبارة عن هيكل سيارة قديمة، مغطاة بالخيش لحمايتها من أشعة الشمس والأمطار. وبالحجرة شمعدان معدنى).

جيدون لى رو من البيض، مرتديا ثيابا أنيقة مناسبة لدرجات الحرارة المرتفعة فى كيرو يسير بتمهل. يستوقفه صوت غاضب وضحكات سخرية وتحد. مارتينوس يأتى من الناحية المقابلة، من السود، مرتديا سترة بالية وعلى رأسه كوفية.

مارتينوس: (بسخرية مريرة) نعم. نعم. استمر. اضحك كما تريد. (بوعيد) لكنى سأقول لكم مرة ثانية. سوف أراكم فى الجحيم. كلكم. حقا. أنتم جميعا فى الجحيم. وأن أفقتم وأبصرتم النيران المشتعلة هناك ستصيحوا قائلين ندمنا على ما فعلنا.. وتطلبوا المغفرة.. (بشماتة) سيكون أنا من يسخر منكم.

(جيدون يدخن سيجارة فى صمت. يصغى دون أن ينتبه إليه مارتينوس) نعم، مارتينوس هو الذى سيضحك آنذاك. (بتحذير) أنتم تختلقون الأكاذيب. وتحتالون على الناس. وتحتسون الخمر. وتعابثون الفتيات الصغيرات وتخلقون لهن المشكلات. هل اعتقدتم أن الله لا يعلم؟ هو يعلم. بل ويرى كل ما تفعلون. وسيقول لكم فى يوم النشور، سيقول لكم أنتم بالتحديد (**بسخرية أشد)** مرحبا بكم يامن غررتم بفتيات كرادوك، وبفتيات نوبورت فانجين سفاحا. ستدافعون إذن عن أنفسكم بأى شىء؟! حقا لن تجدوا ما تقولونه. هذا بسبب كل ما ارتكبتموه من جرائم. أنتم فى كل حفل تقتطعون من ثمن التذاكر نقودا تخفونها فى جيبويكم. الله يعلم ذلك أيضا. والبترول الذى تسرقونه وتبيعونه وهو فى مكانه. الله يعلم ذلك أيضا. وما يكيله باركنج بارنى لى من سباب. أعرف أنكم تحرضونه على ذلك. كنت أراكم واقفين بجوار براميل البترول. ظننتم أنكم لن يراكم أحد.. بينما كنت ظاهرا للعيان. **(يرى جيدون)**.

جيدون: **(يشجعه)** هذا يا صديقى هو القول السديد. هذا هو الكلام الذى أريد أن أسمعه. أريد أن أسمع رجلا لا يخشى الإفصاح عن رأيه، كما أفصحت عنه أنت، بصوت مرتفع واضح.

مارتينوس: أهل جوبورج عاطلون. جميعهم على هذا النحو. كل ما تعلموه هو أن يختلقوا لغيرهم المشكلات.

جيدون: اختلق لهم بعض المشكلات إذن. أجل. خبِّر رئيسك. لا تسمح لهم بالتمادى فى ذلك. يجب أن يدوِّى صوتك عاليا فى هذا الكون المملوء بالعنف. هذا هو السبيل الوحيد لوضع حد لكل هذا الفساد. أنت تجد الفساد أينما يممت وجهك. ويعتقد الناس فى هذه الأيام أنهم قادرون على الهرب بأى شىء. وأصبحوا لا يجلون أى شىء.

مارتينوس: ذلك الشخص مثلا ذو الزحافة البيضاوية **(مشيرا بيديه راسما قبعة على هيئة زحافة)** قابلته أول مرة غرب بوفورت. عندما جاء إلى هنا ليبحث عن عمل، فهمت أنه وضيع. حذرت بارنى منه. قلت له إن هذا الرجل صعب المراس. لم يعر قولى التفاتا. وها هو ذا الآن قد أصبح مشكلتنا

جيدون: إذن، فليذهب بارنى إلى الجحيم. هذا رايى. مادام لم يستمع إلى ما نصحته به فهو سيىء. إنك بلغت غاية ما فى وسعك. أنصحك بأن تؤدى عملك دون النظر لأى شىء آخر. **(صمت لحظة)** ما طبيعة عملك فى هذا السيرك؟

مارتينوس: الحراسة وغيرها.

جيدون: هل تتولى الحراسة ليلا؟ يبدو أن هذا العمل مناسب لك.

مارتينوس: إننى أقوم بالحراسة ليلا ونهارا.

جيدون: طوال اليوم إذن؟

مارتينوس: نعم. طوال اليوم أراقب كل شىء.

جيدون: متى إذن تنام؟

مارتينوس: لا أنام.

(يسود الصمت برهة)

جيدون: ارتفعت اليوم درجة حرارة الجو. أليس كذلك؟ **(صمت برهة. ينتظر ردا. مارتينوس لا يبدى اهتماما)** سمعت فى النشرة الجوية أن درجة الحرارة فى الظل ست وثلاثون درجة. **(بسخرية)** أصبح الظل علامة يهتدون بها. **(يضحك)** فهل يروق لى ذلك؟ شعرت أننى أريد أن أسأل المذيع. ما هذا؟ أمزاح أم ماذا؟ **(بلهجته)** بالقرب من السكة الحديد فى وسط المدينة كانت درجة الحرارة إحدى وأربعين درجة. هل تصورت ذلك؟ شدة الحرارة جعلت الدجاج ينفق. والنفايات عند **(يشير برأسه إلى ناحية)** السكة الحديد يعلم الله كم هى مؤذية! وفى غير السكة الحديد. لا يا رجل. هذا المصير أسوأ من الموت. سمعت أن هناك رجلا يشوى البيض على الغطاء المعدنى لمحرك سيارته ليفطر به فى الصيف. وأنه استخدم الحرارة العالية بدلا من السمن. **(ضحكة جوفاء. مارتينوس لا يرد)** بالرداءة الطقس! خيرت للعمل هناك منذ شهرين نظير زيادة فى الأجر.. رفضت. **(صمت)** على فكرة يا ... ما هو اسمك؟

مارتينوس: مارتينوس.

جيدون: (متفكرا) مار .... تينو... س. رائع.

مارتينوس: مارتينوس زولو.

جيدون: اسم بسيط لرجل عظيم. **(متفكرا)** مارتينوس زولو: ب . جـ . بوتنجون: **(فجأة)** اسمع يامارتينوس. متى يبدأ البروجرام هنا؟ أنت على علم بظروف الإضاءة هنا والموسيقى وكل شىء. متى يبدأ الحفل؟

مارتينوس: فى تمام السابعة.

جيدون: **(ناظرا إلى ساعته)** وتمر ساعة تتبعها خمس ساعات أخرى نقضيها فى مرح ومرح، ووداعا يا عام ١٩٨٩، ومرحبابك يا عام ١٩٩٠. وإلى الجحيم أيها الطقس الساخن. فى الحقيقة مصيرهنا

العام بطيئا فظننت انه لن ينتهى. كنت أحس بهذا الإحساس أحيانا وانا فى العمل.. فاظن أن ساعتى تعطلت. أستفسر عن الساعة، فاكتشف أنها لم تتجاوز العاشرة. وبعد ما أتخيل أنه ساعتين أسأل عن الساعة فأجدها العاشرة والنصف.

(**ضحكة جوفاء. مارتينوس لا يرد**).

فى البداية لم تكن الأحوال تبدو سيئة. أطلق سراحى فى أواخر شهر فبراير. كنت حيا أرزق... (**ضحكة جوفاء**) أعنى أننى يامارتينوس عدت إلى النهوض من الفراش مبكرا. وإلى أن تعد لى أمى فنجان القهوة باللبن.

بالطريقة التى كنت احلم بها وانا هناك على الحدود. نعم. مضى شهر مارس دون شيء يذكر. وقضيت أوقاتا طيبة. ومضى إبريل أيضا. ثم يئست من يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر. كل هذه الشهور كانت شؤما. لا جدوى. حاولت. وحاولت بصدق. لكننى لم استطع أن أعيد المياه إلى مجاريها. فى كل يوم كنت عندما أستيقظ أقول لنفسى: «هيا الآن يا جيد. استعد اليوم للعمل. ودع الأمور تسير». (**يغير لهجته**) وما يحدث يكون مختلفا.

على سبيل المثال. الحمام الذى ربيته. إنى مغرم بتربية الحمام. أنا وأبى. قبل وفاة أبى مباشرة كانت لدينا حظيرة بالفناء الخلفى للمنزل بها مائة حمامة مختلفة الأنواع.. مثل المنزلى والزاجل والبهلوانى والبوتر والمروحى. كانت لدينا كل هذه الأنواع. كانوا يجتمعون إذا حان وقت طيرانهم ويطيرون قبل أن يبيتوا فى الحظيرة ليلا. منظر فى غاية من الروعة. اعتدنا أن نسمى هذا المنظر طيران فى المناورات العسكرية لسرب طائرات كيرو. كان الحمام يحلق ويطير فى السماء طول النهار فى تشكيل رائع. (**يضحك كأنه تذكر شيئا**).

وانحرافهم فجاة لتغيير اتجاههم أثناء الطيران يجعلك تعتقد انهم ينفذون أوامر.

(**بحزن وانكسار**) بعد وفاة أبى... لم اكن اعلم أن بدونه لن تسير الأمور بطريقة أو بأخرى كما كانت فى عهده. فعلى الرغم من شدة حرصى على تزويد الحمام بالطعام وتنظيف الحظيرة لم استطع أن أجعل إحساسى تجاهه يظل كما هو فى حياة أبى: فقد ذهبت إلى الحمام ذات صباح لأقدم له الطعام.. فاكتشفت أن قطة متوحشة أو حيوانا من هذا القبيل هاجم الحظيرة ليلا وانشب مخالبه فى الحمام. فوجدت نصف عدد الحمام قد تقطعت أوصاله.. مات هؤلاء كأنهم محاربون أقوياء دافعوا عن حريتهم لآخر لحظة.. وكان ينبغى على أن أذبح عشرة من الآخرين كانت فى حالة سيئة. ذلك ما حدث. ثم بعت الباقى من الحمام واعتقدت أن الأمر قد انتهى. (**يفكر برهة**) ليست هذه لعنة. المهم. كنت جالسا عند الحدود ذات يوم.. لقد تذكرت ذلك الآن رغم مرور أعوام طويلة. وجدتنى أفكر فيما كان عندنا من حمام. وأنه كم كان جميلا. فكرت فى أن أعيد مشروع تربية الحمام. فاصلح الحظيرة واشترى بضعة أزواج من الحمام الصغير. كى أرقبهم وهم يطيرون وقت الغروب. منذ ذلك الحين وأنا أفكر فى ذلك. (**صمت لحظة**) إنك ينبغى أن تشغل ذهنك بالتفكير فى شيء وإلا ستجن. أنا لا أمزح. لكن أعرف أن هذا ما يحدث. على أى حال، إننى لم أتقدم خطوة فى مشروع الحمام. مازالت الحظيرة القديمة على ثلاث أرجل، وايلة للسقوط، ومملوءة بنسيج العنكبوت. لا أدرى يا رجل ما هو الأمر. غير أننى لم أستطع أن أعيد الأمور إلى ما كانت عليه. ولم أفقد الذاكرة أو أى شيء من هذا القبيل. الأطباء أعطونى أقراصا مهدئة تعيننى على النوم. غير أننى فى حالة طيبة. إه.الأمر فقط هو انى لم اكن أدرى. كنت مثلا فى هذه اليلة اتأهب للجلوس أمام التليفزيون مع أمى. فغلبنى النوم. أتصدق هذا؟! (**صمت لحظة**) قلت لنفسى: اهذه ليلة رأس السنة الجديدة؟! لا لا يارجل. كلا. انت تماديت. انتزع نفسك من هذا واخرج للناس، وكن على علاقة بهم. انتزع شيئا من المتعة. ابحث عن الحب. فجئت إلى هنا. (**فى لهجة خطابية**) لا تتدافعن أيتها النساء فى وقت واحد. (**ضحكة جوفاء**) المهم عند منتصف الليل، يصبح شعارى «لا شقاء فى العام الجديد»: غير مهم كيف يحدث ذلك. لكن عام ١٩٩٠ سيكون عاما مختلفا.لابد أن يعود كل شيء إلى نصابه حتى لو هدنى التعب. (يتساءل) هل جهزت خطتك؟

مارتينوس: (بإنكار) ماذا؟ خطتى؟

جيدون: خطتك للعام الجديد.

مارتينوس: اية خطة؟

جيدون: سيبدأ يا رجل عام ١٩٩٠ فى منتصف الليل. هل تريد الإقلاع عن التدخين مثلا؟

مارتينوس: أنا لا ادخن.

جيدون: شيء اخر إذن. اتريد الامتناع عن شرب الخمور؟

مارتينوس: أنا لا أحتسى الخمر.

جيدون: لابد أنك تريد الإقلاع عن شيء ما.

مارتينوس: لا.

جيدون (بسخرية) أو. كى. انت هكذا وصلت إلى حالة الكمال. أتمنى لك التوفيق.

(يخرج من جيبه زجاجة براندى) إذن لن اعطيك شيئا من الشراب هه.

(**يضحك عاليا**) أردت فى العام الماضى الإقلاع عن احتساء الخمر. وانتهى ذلك بعد عشر دقائق فقط لأننى احتجت إلى احتساء الخمر للامتناع عن التدخين. ثم احتجت إلى كأس وسيجارة لأقضى على التردد... وعلى هذا سارت الأمور. صارت كل رشفة شراب نهاية لقرار يستمر لمدة عشر دقائق فقط. (**صمت لحظة**) الاحتفال الحقيقى بليلة رأس السنة كان بالمعسكر الرئيسى لجيش جنوب إفريقيا. إلى الجحيم الحديث عن الأصدقاء. لو كنت قد رأيتنى أنا وزملائى فى تلك الليلة لكنت قد طرحتنا أرضا. (**لحظة صمت. يحدق كل من الرجلين إلى قرص الشمس الغاربة**).

جيدون: هه. هل رأيت؟

مارتينوس: نعم. بدأت الشمس تغرب.

جيدون: ربما كان هذا العام حارا عديم الجدوى. على أى حال، مؤكد أنه سينتهى.
قصدى أن تنظر إلى قرص الشمس، وترى أنه يحيط بنا كلية. فهو بالنسبة لك فقط محرقة الشمس الغاربة.

مارتينوس: الليلة ستكون المحرقة كبيرة.

جيدون: إننا اعتدنا أن نكون لدينا محارق تشبه محارق جنوب الغرب. من ناحية من السماء إلى الناحية الأخرى. حمراء، حمراء. قلت لك أيها الرجل إن نهاية العالم قد اقتربت. صدقنى. شعرت بذلك

«أنت أدرى يا جيد. لست متيقنا من أن هذه الأخبار جيدة». إنى أذكر ذلك على الدوام. فكان صديقى على حق. وكانت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ.

مارتينوس: (**مشيرا إلى الشمس الغاربة**) أبصر هذا القرص فى كل ليلة. وفى كل مرة يكون مختلفا. وأرى به أشياء مختلفة.

جيدون: (**بلهجة ذات مغزى**) بالمنظار البشرى المجانى.

مارتينوس: كان فى الليلة الماضية مثل الذهب.

جيدون: لم أره أمس.

مارتينوس: (**مشيرا إلى اتجاه**) فى هذا الطريق. فى الطريق إلى غرب بوفورت، أكوام من الذهب أذهلت أهل جوهانزبورج كلهم: بل جبال مكدسة من الذهب.

جيدون: هه، ما رأيك؟ جبال من الذهب؟! إننا جميعا سوف نصير من أصحاب الملايين.

مارتينوس: أحيانا لا يحدث شىء. فقرص الشمس يغوص شيئا فشيئا إلى أن يختفى. والضوء يقل رويدا رويدا إلى أن يتلاشى ويحل الظلام وتسطع النجوم.

جيدون: قيل إن هذا ناتج فقط عن الغبار بالغلاف الجوى. وأنت تعلم أن به ألوان الضوء والسحب وغير ذلك. ورغم ذلك مازال يجعلك تفكر. أليس كذلك؟ (**مشيرا إلى نجم**) مثل هذا النجم الكبير. أليس ذلك مثل إلقاء قنبلة ذرية على دى إير؟

جانب الآخر. وسوف تنادى أسماؤنا.

جـيـدون: نعم. نعم أعرف. عند ما تقابل ربك وكل ما سيتبع ذلك، سيهبط المذنبون إلى الشيطان العجوز وزبانيته. وسيصعد الآخرون إلى الملائكة مترنمين بالنهاية السعيدة. لن أفسد عليك ذلك يا مارتينوس. غير أنه يحدث في القصص الخيالية.. المملة. وقد سمعتها كلها من قبل. إذا صدقتها انت وشأنك. إنما أنا لا أصدقها.

لكن إن كنت لا تكترث لذلك أرجو أن تحتفظ به لنفسك. هنا سيرك وليس مدرسة الأحد. وقد جئت إلى هنا لألقى شيئا من المتعة. إذن فلندع المكان لهذا الغرض. أو. كى.؟

(مارتينوس يضحك ضحكات عالية).

مـارتينوس: هذا ما سيحدث. السيرك أرض السعادة. أضواء جميلة وموسيقى. أن تشترى تذكرة العجلة الدوارة وتدور وتلف بها وتنسى جميع متاعبك.

الجميع يأتون إلى هنا من أجل ذلك. أعلم ذلك لأننى أرقبهم. أنا بهذا السيرك منذ خمسة عشر عاما. أرقب الزبائن طوال هذه المدة. فى نوبورت.. كرادوك.. هانوفر.. غرب بوفورت.. لينجسبورج.. كولسبيرج.. سيد لبورج كل هذه الأماكن هنا فى كيرو العظيمة. الزبائن يبتهلون إلى الله لتسقط الأمطار ثم يقفون منتظرين السيرك ووسائل السعادة. وعندما تضاء الأنوار وتعزف الموسيقى، يأتون فى الليل هائمين كالفراشات. الأعمام العجائز والخالات البدينات. الفتيان والفتيات الجميلات.. حتى الأطفال. الجميع يأتون إلى هنا ويلهون لأنهم يريدون أن ينسوا.

(مغيرا لهجته) لا فائدة. حاول أن تنسى بقدر ما تستطيع. لكن بدون جدوى. فكل ما تفعله مدوّن فى الكتاب الكبير، وفى يوم القيامة ستقف لتعرف ما يكون قد دوّن. إذن ماذا ستقول؟

جـيـدون: **(باستهانة)** سأقول الكثير يا صديقى.

مـارتينوس: أهذا حقيقى؟

جـيـدون: أوه، نعم. ولنبدأ بما تسميه «الكتاب الكبير». قف لحظة واحدة وتخيل ما سيكون عليه حجم هذا الكتاب إذا دوّن به كل ما يقترفه كل شخص هنا من أخطاء. نعم. هل تخيلت ذلك من قبل؟ يا مستر مارتينوس زولو. البشر فى هذا العالم كثيرون. فإلى الجحيم أخطاؤهم. وبحق الجحيم، من الذى سيدوّن كل هذه الأخطاء؟! والاطلاع عليها سيجعلهم فى يوم القيامة يحتاجون إلى أكثر من نبذة مختصرة عن كل خطأ يرتكبه الشخص.

(صمت لحظة) هذا كل ما استطعت أن أخبرك به.

(ينظر إلى وجه مارتينوس متأملا).

(مارتينوس يمد يديه بحيث تشير أصابعه إلى الرقم ستة).

جـيـدون: **(متسائلا بدهشة)** ما هذا؟

مـارتينوس: **(بثقة)** الوصية السادسة أهم وصية.

جـيـدون: أية وصية سادسة؟!

مـارتينوس: سادس وصية فى الوصايا العشر أهم وصية. **(بتفكير)** «لا يجب أن تقتل». لا تقتل عدوك... ولا حتى الشخص الذى تمقته أكثر من أى شخص آخر فى الكون. وانك تستطيع دوما أن تعيد ما سرقته. وإن كذبت بمقدورك أن تكون صادقا. لكن... إذا قتلت ستنتزع حياة إنسان.. ولن تستطيع أن تردها إليه مهما تفعل. فوفاته هى نهاية المطاف.

جـيـدون: **(بارتباك)** ولماذا ... تقول لى هذا الكلام؟

مـارتينوس: هذا ما جاء به الإنجيل.

جـيـدون: **(بحدة)** أعلم ذلك. أريد أن أعرف لماذا تخبرنى به. هل اعتقدت اننى مختل أو شىء من هذا القبيل؟! لقد عرفت من مدرسة الأحد كل شىء عن الوصايا العشر. احتفظ بمواعظك لنفسك. هل فهمت؟! إذا رغبت فى الوعظ فعظ أصحابك المتبطلين هؤلاء. **(صمت لحظة)** على أى حال، كل إنسان يدرك متى يعظ.

مـارتينوس: **(بإنكار)** ماذا؟!

جـيـدون: فى سادس وصية.

مـارتينوس: **(بإصرار)** كلا.

جـيـدون: **(بنفس الإصرار)** بل نعم. الوصية السادسة. ما رأيك فى الدفاع عن النفس؟

(مارتينوس يهز رأسه فى عدم موافقة).

جـيـدون: أو الدفاع عن النساء والأطفال؟

(مارتينوس يهز رأسه بنفس الطريقة).

جـيـدون: أو حتى الدفاع عن قومك من غزو الشيوعيين؟

مـارتينوس: **(بعناد)** كلا. وألف كلا.

جـيـدون: **(كأنه يخاطب نفسه)** القتل جائز فى كل هذه الظروف. حتى الكهنة المتشددين قالوا ذلك. سمعتهم بنفسى يقولون ذلك.. فى الخطب بميدان القتال.

مـارتينوس: **(بعناد)** كلا. جاء بالإنجيل «لا يجب أن تقتل جارك».

جـيـدون: من ذا الذى بحق الجحيم تحدث عن الجيران؟! أنا أتحدث عن المجرمين والشيوعيين. لا. لا. يا رجل. حوارنا البسيط هذا خرج عن الموضوع

(يتمالك رباطة جأشه) إصغ إلىّ يا مارتينوس لا نواصل حديثا لن يجدى فتيلا. دعنى أقول لك لآخر مرة. أو. كى.؟ إنى مستوعب تماما ما جاء به الإنجيل. ولست فى حاجة إلى استيعاب المزيد. هل أدركت معنى كلامى؟

فى الواقع أنت مستوعب الإنجيل. ألست كذلك؟ ألا

تستطيع أن تحدثني عن شيء آخر؟

مارتينوس: شيء آخر. مثل ماذا؟

جيدون: **(بشيء من الضيق)** أي شيء. محبة الله. كرة القدم.. المرأة مثلا.. أو حتى سياسة العنف إذا أردت. هذا أفضل. حدثني عن الكونجرس الإفريقي الوطني. غيرّ موضوع الحديث حبا الله. **(بلغة براندى)** أريد أن أجعلك تقابل أوتولى القناص ومقتفى الآثار الذي بوحدتنا. هو يعرف ماذا تكون النهاية. لم يكن أوتولى يشترك معنا في الخدمة بالكنيسة. بل كان يجلس متفرجا.. ونحن كنا نتلو الترانيم ونصلى ونسمع العظات عن الجنة والجحيم وما إلى ذلك. قلت له يوما: «ما هي فكرتك عن النهاية؟ هل تعرف ماذا كان رده يامارتينوس: قال: «عندما توافينا المنية سنموت وتذرو الرياح آثار أقدامنا. هذه هي نهايتنا». **(صمت لحظة)** حقا، كان أوتولى يعرف ما هي النهاية.
أنت على علم بأن الإنسان صعد إلى الفضاء. ودار حول الأرض. وذهب إلى القمر وعاد.. ويستعد للصعود إلى المريخ. والأدهى من ذلك أن الإنسان صوّر كل شيء هناك. بم تفسر يا صديقى... لا يوجد في أي مكان دليل واحد على الجنة والجحيم. **(باستهانة)** ضع هذا إذن في البيبة القديمة التي لديك وأشعله كأنه تبغ. نعم. هذا هو العلم يا صديقى. إنه العلم. القمر الصناعى يقطع المسافة في الفضاء إلى نهاية الكون كله. وطول اليوم يلتقط الصور ويبعث بها إلى الأرض. وكل ما تستطيع أن تراه هو فضاء خارجي ممتد لعدة أميال. وهو في الغالب موحش مثل أعالى كيرو. لهذا لا أعرف أين تحلق الملائكة التي تعتقد أنت وجودها. مؤكد أنها لا تحلق في مكان بالسماء الزرقاء التي تعلو هاماتنا. هذا ما أردت أن أقول.
(مارتينوس مصغيا بهدوء).

جيدون: أهم ما في الأمر إنك يا صديقى لم تنتبه إلى أننى قلت ما أردت أن أقوله عن نيران اللعنة الأبدية. **(صمت لحظة)** إذن بحق الجحيم متى يبدأ بروجرام الليلة؟
(مارتينوس يحدق إليه بلا اكتراث).

جيدون: **(بغضب)** الساعة يا رجل تجاوزت السابعة والربع.

مارتينوس: **(بعدم تصديق)** حقا؟

جيدون: نعم. أين الإضاءة والموسيقى؟ قلت لى إن البروجرام سيبدأ في السابعة.

مارتينوس: أجل.

جيدون: وحبا في الله قلت لك إن الساعة الآن تجاوزت السابعة. **(ناظرا إلى ساعته)** إن كنت لا تصدقنى انظر لترى الساعة بنفسك.

(مارتينوس يهز كتفيه في عدم اكتراث)

جيدون: ما قصدك!

مارتينوس: ربما تعطلت مولدات الكهرباء مرة ثانية. تعطلت ليلتين في نويبورت في الشهر الماضى.

جيدون: وماذا يجب علينا أن نفعل؟

مارتينوس: ننتظر إلى أن يصلحوا العطل.

جيدون: **(بإنكار)** شيء لا يعقل. ارتدينا أفضل ما لدينا من ثياب. وقطعنا الأميال لنجيء إلى هنا. ويجب علينا أن نقف منتظرين كالحملان المتوجة كي يصلحوا عطل الكهرباء! كم سيستغرق هذا؟

مارتينوس: أحيانا يصلحون العطل بسرعة. وأحيانا يستغرق هذا وقتا طويلا. وفي أحيان أخرى لا يتمكنون من إصلاح العطل ويرسلون من يأتى لهم بقطع غيار.
(بإنكار أشد) ثم بعد ؟!
لا شيء.

جيدون: **(غاضبا)** ماذا؟

مارتينوس: لن يعرضوا شيئا إذن. وينبغى أن يعود كل شخص إلى بيته. كما حدث في الشهر الماضى في نويبورت.

جيدون: **(يزداد غضبا)** إلى الجحيم ما حدث في نويبرت.

مارتينوس: أنا لست معزولا عن نويبورت ومشكلاتها. هم أيضا كانوا سيلقون قنبلة ذرية على هذا المكان لو أن اهتمامهم به قدر اهتمامى. **(صمت).**

جيدون: لا. لا يا رجل. هذا يفوق احتمال البشر. يا لشدة الحرارة في هذا العام!
لا ريب الآن أن هذا العام أسوأ عام في حياتى كلها. استمسكت بقوة إرادتى إلى آخر يوم فيه. وبذلت جهودا كبيرة وجمعت شتات نفسى وغادرت البيت. وأين ذهبت؟! **(بسخرية)** ذهبت إلى سيرك كل ما فيه معطل. أتقول لى الآن إننى ينبغى أن أعود إلى بيتى مادامو لن يصلحوا عطل الكهرباء؟! أوه. لا ياصديقى لا. ربما استطعت أن تبيع التذكرة لأولئك المتسكعين عند السكة الحديدية في نويبورت. لكن هنا.. لا أحد سيشتريها. لسنا أبناء أمس. **(صمت لحظة)** إن رغبتم في أن تطلقوا على أنفسكم لقب أصحاب سيرك، الأفضل أن تؤكدوا ذلك لنا الليلة، بدلا من أن يبدأ «باس بارنى» العام الجديد بأعطال الكهرباء.
(طنين من مكبرات الصوت. فجأة ينطلق صوت بارنى).

بارنى: **(يجرب الأجهزة)** واحد. اثنان. ثلاثة. أربعة. هل تسمعنى يا مارتينوس؟

مارتينوس: **(بصوت مرتفع)** نعم أسمك يا باس بارنى.

بارنى: هل الصوت مرتفع وواضح؟

مارتينوس: نعم يا باس بارنى.

بارنى: وهو كذلك. **(آمرا)** أضىء المصابيح يا جاكسون.

(تضاء المصابيح تدريجيا. تضطرب الإضاءة لحظة ثم تثبت).

مارتينوس: **(مبتسما لجيدون)** اصغ. انظر **(مشيرا إلى ناحية)** هناك. مصابيح متألقة وموسيقى. انس متاعبك أيها الرجل الأبيض. السيرك ينتظرك.

(جيدون يدخل)

المشهد الثاني

نفس المنظر السابق.

بارني: **(بمكبر الصوت)** مرحبا بكم جميعا. مرحبا بكم مرة أخرى. مرحبا بكم في السيرك. صديقكم القديم باركوزين وهو باركنج بارني رجل الحفلات يحدثكم ويعدكم الليلة بسهرة ممتعة مليئة بالفكاهة والمرح يختتم بها هذا العام. سنقدم الليلة سهرة خاصة بمناسبة رأس السنة الجديدة. ولنبدأ بالحديث عن فقرات الحفل. **(صمت لحظة)** اشتر تسع تذاكر من أى قسم وخذ تذكرة مجانا. ونذكرك بأنك يجب أن تحافظ على تذكرتك لأنك ربما تفوز بجائزة من جوائزنا الكبيرة. يوجد كل ساعة سحب. **(صمت لحظة)** ماذا تنتظرون إذن؟! هيا نودع القديم ونبحث عن الجديد... واحد.. اثنان.. ثلاثة.. إلخ ... إلخ...

(مقطوعة من موسيقى الروك - اند - رول بإيقاع سريع كأنها تحدد شكل وإيقاع السهرة. السيرك فى حالة من الحركة الدائبة. مكبرات الصوت عند أعلى العمود تنبعث منها مقاطع من أغاني البوب القديمة والروك - اند - رول وموسيقى من جنوب إفريقيا. يمتزج كل ذلك بصوت بارني معلنا عن الفقرات واللعب المختلفة وأرقام تذاكر الفائزين فى السحب والأطفال التائهين. ويستمر الضجيج والضحكات وصرخات الرعب).

بارني: (يقطع أغنية للبوب) انتبهوا جميعا. أرجوكم. إعلان خاص جدا. المغنية الشقراء الجميلة الحلوة الصوت ذات الثانية عشرة ربيعا ميرى ذى تويت... (يغنى) هابى بيرث داى ... (إلخ ... إلخ)

(تعلو موسيقى البوب).

بارني: انتبهوا أرجوكم. أرجو أن تقرأوا أرقام تذاكركم. إذا كان لديك رقم ٦٤٠٨، سأكرر الرقم مرة ثانية ٦٤٠٨ ستفوز حالا بأسطوانة فونوغراف، تعد خبطة فنية لمطعم هابى روستلر من النادر تكرارها. (صمت) اذهب إلى الاستعلامات واشتر تذكرة السحب القادم سيكون فى كابرى. لذا سارع بشراء تذاكر العجلة الدوارة والسوط... (إلخ).

(تعلو موسيقى البوب)

بارني: قسم النقود المفقودة يتحدث ... أرجو ذهاب والدي الطفلة ويلىِّ لبنبرج إلى العربة الكبيرة المغطاة المجاورة لجدار الموت... **(يكرر)**.

(ترتفع موسيقى البوب).

بارني: انتباه انتباه. إعلان هام. على الجائع التوجه بسرعة إلى الكشك المجاور لقسم الرماية. عندنا كميات كبيرة من لحوم كيرو المعتبرة محمرة ومشوية، ولحم الكلاب ساخن ولذيذ. كل هذا عن هواة الوجبات الخفيفة. سأعيد ما قلت.**(يكرر)**

(ترتفع موسيقى البوب. جيدون منهمك فى كل ذلك. يغنى مع الموسيقى. يطلق النكات. يعلق على الإعلانات. يختلق أشكالا للسرور المبالغ فيه يناقض بعضها بعضا).

المشهد الثالث

الوقت: يبدأ هذا المشهد بعد المشهد السابق بقليل وينتهى قبل منتصف الليل بوقت قصير.

المنظر : كشك الحارس الليلى.

جيدون ياتى مرتديا قبعة ورقية مضحكة ويحدث ضجيجا ويتسم سلوكه بالميل إلى العنف من أثر الخمر والشعور بالإحباط).

جيدون: **(يغنى)** الا دريت يا حبيبتى اننى احبك كثيرا.

الا شعرت بذلك عند اللقاء.

لن اتركك أبدا تذهبين

حقا

إننى أحبك كثيرا

ولن أتحمل بعادك.

(يضحك ضحكة جوفاء)

ماذا تفعلين هناك

يا مارتى؟

مارتينوس: **(متسائلا باستياء)** هل عدت؟

جيدون: نعم. عدت. ومن غيرى يعود؟! أنا صديقك العجوز الرقيب جيدون لى روكسى.

مارتينوس: **(بدهشة)** رقيب؟

جيدون: نعم. رقيب بشريطين. لكن... اصغ إلىَّ وانس رتبتى العسكرية. نادنى بجيد فقط. فكرت فى ذلك، وها أنت قد سمعت. ما رأيك الآن فى أن ننسى الماضى؟ أريد أن نصبح صديقين... أنا وأنت. جيد ومارتى. أو. كى؟

مارتينوس: أو. كى.

(جيدون يمد يده اليمنى فيصافحه مارتينوس)

جيدون: خبرنى إذن. كيف حالك يا مارتى؟

مارتينوس: (مجاملا) بخير يا جيد.

جيدون: لم إذن تبدو حزينا هكذا؟ (صمت لحظة) ركبت العجلة الدوارة وأعجبنى المنظر ونظرت إلى أسفل ورأيت كل إنسان هنا وكل شىء.

ورأيت صديقى مارتى العجوز البائس وحيدا رغم أن كل إنسان هنا قضى وقتا طيبا. كنت جالسا فى حزن.

مرحى.. مرحى.. أيها الرجل. ليس اليوم نهاية العالم، إنما نهاية عام حار عديم الجدوى. إنه يكاد ينتهى يا مارتى. سينتهى بعد ساعتين ويبدأ عام جديد سعيد.

مارتينوس: هل أمضيت وقتا طيبا يا جيد، هه؟

جيدون: يمكنك أن تكتشف بنفسك أننى قضيت وقتا طيبا. وفعلت كل ما يمكن فعله فى بحيرة السمك المجدود. وصوبت رصاص البندقية إلى البط الخشبى. وألقيت كرات البينج بونج فى فم المهرج... و ... و. فعلت كل ما قلته لك وأكثر.. وجميع اللعب أيضا. بينى وبينك. **(صمت لحظة)** القطار الشبح حماقة كبيرة. تعلم أنه لعبة أطفال... لكن العجلة الدوارة... درت بها ثلاث مرات. أرتفع بها يا رجل وأهبط بها و .. و .. بى. حدث ما قلته لى بالضبط. نسيت كل متاعبى. فما رأيك؟ نسيت أمى المريضة وعملى البغيض، ورئيسى الأحمق القاسى، وسيارتى الملعونة التى أدرى مسبقا أنها لن تتحرك إذا أردت العودة إلى البيت. يجب أن تحيينى. أو. كى؟ إننى نسيت كل ذلك. لم تنته السهرة وسأعود لأجد المزيد. **(يتمنى)** أريد بحق الجحيم أن أدور وأدور وأرتفع وأنخفض إلى أن أنسى من أنا **(ضحكة جوفاء)** ما رأيك؟

مارتينوس: رائع يا جيد. إذن، لم جئت؟

جيدون: **(بإنكار)** لم جئت؟! سؤال جميل جدا.

مارتينوس: لا شيء لك هنا. هناك العجلة الدوارة.

جيدون: أوه. أجل. هناك العجلة. وأنت صديقى. أنت هنا لذا أنا هنا. أول درس يجب أن تتعلمه فى كوخك هذا هو ألا تفقد صديقا.

مارتينوس: إن جلست هنا معى لن تنسى متاعبك.

جيدون: هه يا مارتى. لم قلت ذلك يا رجل؟! لو أننى لم أعرفك جيدا كنت قلت إنك تهرب منى. أنت لا تريد أن تهرب. هل تريد... لو أردت ذلك لكنت قد آذيت إحساسى. هل ستؤذى إحساسى بقسوة؟ **(ضحكة جوفاء)** بحق الجحيم يا مارتى هذه دعابة. إصغ إلىّ كما تصغ لصديق لك. اسمح لى أن أقول لك عبارة واحدة كنصيحة. روِّح عن نفسك قليلا. أنت فاهم قصدى أيها الرجل. جرِّب ضحكة أو بسمة صغيرة من وقت لآخر. ربما يتعذر ذلك أحيانا ولكن ...

على كل، لن يسمع أحد الآن ضحكاتك. إذا أردت أن تعرف الحقيقة كاملة ولا شيء غير الحقيقة فليُعنى الله. (أكثر جدية) إننى عدت إلى هنا لأمر يخصك. هدية. نعم. كنت أقصد ذلك عندما أخبرتك بأنك شغلت تفكيرى. أنت إذا سألت الذين كانوا معى على الحدود سيخبرونك بأن الرقيب جيدون لى روكسى دائم التفكير فى أصدقائه. لأننى نشأت على هذا المبدأ. التفكير فى الآخرين. لهذا معى هدية جميلة لك. ستسر بها. أفضل مائة مرة من ركوب العجلة الدوارة، لأنك لن تنسى متاعبك فقط إنما ستتخلص منها تماما... وتحتفظ بصداقتى. إنها تضمن لك استعادة النقود. هل أنت على أهبة الاستعداد؟ **(يتفرس فى وجهه)** أنا اتخذت قرارا خصيصا من أجلك تحل به مشكلاتك فى العام الجديد. فى منتصف الليل يجب أن تقف انتباه **(جيدون يجعل مارتينوس يقف انتباه. وينزع عنه الكوفية ويخلع قبعته الورقية ويضعها على رأس مارتينوس) (كأنه يأمره)** إرفع يدك اليمنى وقل: «أنا مارتينوس زولو. أقسم جادا بأن ميثاقى فى العام الجديد ١٩٩٠ هو لامزيد من الوعاظ ولامزيد من المواعظ، لامزيد من قصص الإنجيل التى يرويها الوعاظ ولا على قائمة الممنوعات. الشكر لله ، آمين».

(ضحكة جوفاء) قلت لك يا رجل إن هذا هو الحل لجميع مشكلاتك. فكلها بسبب هؤلاء السود المحتشدين هناك فى الكنيسة ليخدعوا البسطاء أمثالك، إنك يا رجل صنعت ميثاقك فى هذه الليلة. وأعدك بأنك ستكون سعيدا فى عام ١٩٩٠.

مارتينوس: مثلك أنت؟

جيدون: نعم، مثلى. هل اتفقنا؟ أنا فى خدمتك يامارتى.

(مارتينوس يتأمل جيدون برهة. يتوجه إليه. يخلع القبعة الورقية ويضعها على رأس جيدون ويأخذ الكوفية ويعود إلى مكانه)

جيدون: هل أنت يا مارتى لاتهتم حقا بهديتى أم تصورت أنا ذلك؟ هه. لست سريع الغضب. أعلم ذلك. وحتى لوكنت كذلك الن تستطيع أن تقول لى: «شكرا لك يا جيد» هه يا مارتى. أنت تبغى تحطيم قلبى فى هذه الليلة. لم يا صاحبى؟ جريمتى؟ قلبى ملئ بالمشاعر الطيبة نحوك فلا تجرحه. لاتعامل أصدقاءك بهذه الطريقة.

مارتينوس: أنت تغالط نفسك، رغم أنك ينبغى أن تحترس من قلبك. فهو يستطيع أن يكتشف ذلك.

جيدون: ومن هو قلبى؟: أهو كريس برنارد؟ **(يضحك)** اضحك يا مارتى. اضحك.

مارتينوس: أنت تخفى به كل أسرارك الهامة. الأسرار الضارة... لافائدة. فالله يعلمها.

جيدون: جعلت هذا الإحساس يعاودنى.

مارتينوس: الله أعلم.

جيدون: هل ستعود إلى المواعظ.

مارتينوس: ليست مواعظ.

جيدون: بل مواعظ. إنى أعرف عبارات الوعظ كما اعتدت أن أميز صوت أوراق الكرنب الجيد دون الاعتماد على أبى.

مارتينوس: قال لى ذلك بنفسه.

جيدون: من؟

مارتينوس: هو.

جيدون: هو؟

مارتينوس: أجل.

جيدون: (**مستدركا**) أوه. فهمت. نحن نتحدث عن الرئيس الكبير نفسه.

(مارتينوس يومئ مؤيدا كلامه)

جيدون: (**بسخرية**) هل حدثك؟

مارتينوس: أجل.

جيدون: (**بسخرية أشد**) الله؟.

مارتينوس: لا. إنما هى القدرة الإلهية.

جيدون: وهل جاءت إلى هنا لتحدثك؟!

مارتينوس: فى الحلم. كان الحديث فى الحلم.

(صمت برهة)

جيدون: (**متظاهرا بالانهزامية**) لا، لايارجل. مادام الأمر هكذا لايمكننى إلاّ التسليم. لقد انهزمت ورفعت الراية البيضاء يا مارتى.

مارتينوس: (**بثقة**) رأيت فى الحلم إنى أصلى مثل كاهن وأقول «يجب أن... إلخ. الخ إلخ. وكنت أجثو على ركبتى وأعترف لله بأننى ندمت على ما قدمت يداى وأطلب منه أن يغفر لى. فخيل إلىّ أننى سمعته يقول: «لن يفيد ذلك يا مارتينوس إنى أبصرت ما بأعماقك وعلمت أنك لم تتب.» لذا قلت له: «يا ربى حقا إننى غير نادم». فخيل إلىّ اننى سمعته يقول: «لن أغفر لك إذن . وستذهب إلى الجحيم. سيذهب كل من لم يتوبوا إلى الجحيم.»

جيدون: (**سخرية**) أحدث ذلك تماما؟

مارتينوس: نعم.

جيدون: وهل استيقظت بعد ذلك؟

مارتينوس: نعم.

جيدون: وهل صدقت ذلك؟

مارتينوس: نعم.

جيدون: وهل تطلب منى تصديق ما قلت؟

مارتينوس: نعم.

جيدون: طلباتك الليلة يا مارتى بحق الجحيم كثيرة. فى البداية قصص من الإنجيل ينبغى عليها الإيمان بها. والآن أحلامك هذه . (**بضيق**) ماذا دهاك يا رجل؟ لن تصدق أنت هذه القصص الا إذا أصبحت قصصا حقيقية. أن تحدث لك مثلا. إنما الحلم . مجرد حلم يتعذر تصديقه. هذا ما يدور بذهنك وأنت نائم أو عندما تغمض عينيك أو حتى عندما تتخيل شيئا. الا تستطيع أن تدرك الفرق بينهما وبين الواقع؟ أينبغى أن أوضح لك ذلك أيضا؟!

(مارتينوس لايتكلم. جيدون يشجعه على الحديث)

جيدون: الشىء الحقيقى أو الواقعى هو ما تستطيع تصديقه لأنك تلمسه وتراه وتشمه... وعيناك مفتوحتان على سعتيهما. فتجلس مرة ثانية فى الكوخ الظليل وتمعن النظر فيما على الأرض. هذا هو ما تعنيه كلمة «حقيقى». فعندما تجعلنى أرى الجنة والجحيم بالضبط كما أراك الآن محبطا على هذا النحو سأصدق الوعاظ وأؤمن بقصص الإنجيل.

(**زجاجة البراندى تبرز من جيبه**) دعنى أقول ذلك لأى شخص يعتقد أنه ذاهب إلى الجحيم. يبدو أنك يا صديقى تأخذ الأمور باستهتار، وكما تعلم يكون هذا الأمر خطيراً جدا تبعا لما جاء بالإنجيل. لايشبه الذهاب إلى السجن. لكن إن ذهبت إلى الجحيم سوف تخلد فيه. ولن تجد الفرصة لتغيير سلوكك إلى الأفضل. فالتذكرة يا صديقى لاتجاه واحد. هو العذاب والآلام المبرحة بدون توقف. وللأبد. إن كان هذا لا يشكل لديك مشكلة... إذن كان بها. وأتمنى أن يحالفك التوفيق (**رشفة براندى**)

قل لى.. ماذا فعلت يا مارتى؟ وما هو الجرم الذى سيقرأ من الكتاب الكبير فى يوم البعث؟ لابد أنه جرم كبير مادمت ستأخذ من أجله تذكرة لاتجاه واحد. هيا يا رجل .. خبِّرنى. فأنا أعرف كيف أخفى السر. نحن الآن صديقان. والأصدقاء دائما يا مارتى على بينة بأسرار بعضهم (**مارتينوس لايرد**)

جيدون: (**بصوت خفيض وبلهجة ذات معنى**) سادس وصية، أكبر خطيئة. أليس كذلك؟ أن تقتل شخصا، هه. إذن يجعل الله الجحيم مثواك. (**صمت لحظة**) أجل، فهمت. شممت رائحة ذلك عندما رأيتك، قلت لنفسى: «إحذر ياجيد. هذا التافه لديه شىء ما.»

مارتينوس: عد يا جيد إلى السيرك. اذهب إلى العجلة الدوارة.

جيدون: (**يضحك**) لم أضجر. أنا أقضى معك هنا وقتا طيبا. دعك يا رجل وارمى اللوبيا. ماذا حدث؟ هل حدث هجوم على البيت وسرقة. أهى سرقة بالإكراه؟ لا. لايبدو انك من هذه النوع. لست واحدا من هؤلاء الصعاليك. لا. بل هو شىء آخر. انتظر برهة. لحظة واحدة. (**يفكر**) آه. تذكرت. المرأة. هل هذا حقيقى؟

هل ضبطت امرأتك مع رجل آخر؟ كيف حدث هذا؟

مارتينوس: (بغضب) دعنى وشأنى.
جيدون: (يضحك) لقد زاد حماسى. من السبب يا مارتى؟ هل المرأة؟ هل الرجل؟ هل كلاهما معا؟ (يضحك) كيف فعلت ذلك ؟ هل استخدمت مطواة ؟ وهل هربت بها؟
مارتينوس: (بغضب أشد) قلت لك دعنى وشأنى.
جيدون: دعك الآن يا مارتى. لاتنظر إلى الأمر بهذه الخصوصية . أنا فقط أبغى معاونتك. كل ما أبغيه هو أن تجد حلولا لمشكلاتك.
مارتينوس: لن تعيننى. اذهب إذن.
جيدون: (بصرامة) لن أذهب.
مارتينوس: ماذا تريد؟
جيدون: الحقيقة البغيضة. هى ما أريد. أنت قتلت شخصا. مظهرك يدل على ذلك. أتظننى أعمى؟ أريد أن أعلم.. قتلت من ؟
مارتينوس: لن أخبرك.
جيدون: (بإنكار) آه. حقا؟
مارتينوس: أجل : لن أخبرك.
(صمت. جيدون يتهرب من المواجهة المباشرة)
جيدون: أو. كى. إن كنت لاتريد أن تخبرنى.. سأفترض إذن أنك تنهى صداقتنا
مارتينوس: (بإصرار) عد إلى أمثالك.
جيدون: (بإنكار) من هم؟! أهم سكارى كيرى الصعاليك الذين يأكلون حلوى السكر! الويل لهم! إنى أشبههم بمحض الصدفة. إنك إذا أردت أن تتبادل معهم الحديث بطريقة ودية يعتبرونك شيئا غريبا لعيناً. السيرك. أجل. كانوا يهتمون به بينما كنا على الحدود نصوب بنادقنا للبط الخشبى مقابل المال. إن هذا الحشد من البراميل البدينة يتمتعون هنا فى السيرك هناك فى الجحيم . لمعلومك. أنت لايجب أن تنتظر إلى يوم القيامة لمعرفة ما تعنيه كلمة «الجحيم». فالجحيم هنا، ويمكننى أن أصحبك إليه، هو ما يسمى بمنطقة العمليات العسكرية. النيران المشتعلة بالمحرقة لا يخمد لها أوار ورمادها لايفنى. ولاينتهى أيضا الرش بالماء والطحن وما يتبع ذلك من غبار وعرق. إذا أردت أن ترى الشيطان سأستطيع أن أجعلك تراه مرتديا الزى الكاكى وبيده مدفع رشاش.
مارتينوس: (يتساءل بهلع) هل أنت سوابو (١)؟
جيدون: نعم. هذا اسمه. ولم يكن هو يطلق النيران على البط الخشبى
مارتينوس: وهل قتلته؟
جيدون: من؟ الشيطان (ضحكة جوفاء) نعم. قتلته. وكيف اذن جئت؟! إن قانون الغابة هو القانون الوحيد الذى يبقيك على قيد الحياة. هذا ما اعتدنا قوله «إما أن تقتل أو تُقتل». لاتفكر فى غير ذلك
مارتينوس: (ضاحكا بزهو ويرفع إصبعه نحو جيدون) الوصية السادسة. أنت أيضا! سنلتقى فى الجحيم ايها الرقيب جيدون لى روكسى.
جيدون: (بجفاء شديد) الويل لك.
مارتينوس: (يضحك بشماتة) هه!
جيدون: هذا أيضا رأيى. سأقول لك مرة ثانية. «الويل لك» طبِّق الوصية السادسة على الجرم الذى ارتكبته ولاترفع إصبعك اللعين هذا فى وجهى مرة ثانية. هذه وقاحة أيها الغلام.
مارتينوس: لا. ليست وقاحة.
جيدون: لا. قلت لك من قبل كن فى حالك. الأسرار التى أخفيها ليست ذات صلة بك أو بغيرك.
مارتينوس: (بثقة) أو . كى. سأكون فى حالى. ولتفعل ذلك أنت أيضا. أسرارى لاتخصك. اذهب إذن. هذا مكانى. ولايوجد شىء لك هنا.
جيدون: أهو مكانك؟!
مارتينوس: أجل : مكانى. هذه هى حجرة الحارس الليلى، وأنا الحارس، اذهب من هنا إذن .
جيدون: لاتقل هذا يا رجل . ما يزال هذا البلد حرا. وأنتم لم تتولوا السلطة بعد.
(يبتلع بقية البراندى. يلقى الزجاجة بعيد. ويسير مبتعدا)

المشهد الرابع

الوقت: بعد المشهد السابق بقليل
المنظر: (السيرك . الإضاءة ساطعة والموسيقى صاخبة)
(جيدون جالسا يتلفت حوله فى ملل. كل شخص فى السيرك متاهب لاستقبال العام الجديد)
بارنى : (من الميكروفون مقلدا اللهجة الأمريكية) سيداتى سادتى مساء الخير . مرحبا بكم هنا فى كيرو، فى هذا الحشد الفنى الكبير بمناسبة رأس السنة. أنا باركينج بارنى ولقبى باركوزين. سأتحدث إليكم على الهواء مباشرة من كيرو فيرال حيث يوجد السيرك. أيها الشباب من الجنسين. كونوا على أهبة الاستعداد لوداع عام ١٩٨٩ . فبعد ثلاث دقائق فقط من الآن سيبدأ عام ١٩٩٠، ومن حيث الأحوال الجوية سيكون الطقس مناسبا للانطلاق والمغامرات الرومانسية. فالنسيم عليل والسماء تسطع بها النجوم.
سيبدأ حفلنا الساهر مع بداية ١٩٩٠، عند

---

(١) السواب: جندي بجيش الدفاع بجنوب غرب افريقيا، في منقة ناميبيا.

منتصف الليل تماما ، أى عندما تعلن دقات الساعة الثانية عشرة. الباقى من الزمن دقيقتان، وقد خيم الصمت على الجمهور الغفير الذى اجتمع هنا للمشاركة فى هذا الحفل الكبير.

إنى الآن أنظر إلى شاشات التليفزيون وأرى بعض الحاضرين قد انتهوا من تناول وجبات سجق كيرو ولحم الكلاب الساخن.

سيداتى سادتى بقيت دقيقة واحدة على بداية الحفل. وقد أخذت ألسنة الحاضرين تلهج بالدعاء بأن يكون عام ١٩٩٠ عام خير على الجميع، وتحمد الله على أن عام ١٩٨٩ قد انتهى بخيره وشره. **(صمت)** بقيت ثوان على بداية العام الجديد وجاء وقت العد التنازلى ١٠ - ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١ - صفر. **(دقات الساعة تعلن الثانية عشرة)** سيداتى سادتى ، أعلنت دقات الساعة بداية عام ١٩٩٠ . فأرجو الله أن يجعله عاما سعيدا . سيبدأ الآن حفلنا الساهر الكبير. وستبدأ أولى فقرات الحفل.

(مرح وغناء وضجيج سيارات وألعاب نارية... نغمات نشاز تقترح وجود معركة غير واقعية. ويسهم جيدون فى ذلك ويحدث ضجة أثناء غناء أغنية « عام جديد سعيد» ويختتم الحفل بأغنية «فى العهود الخوالى». وفى نهاية الحفل تقل شدة الصوت تدريجيا إلى أن تصبح صوتا بدون كلمات أقرب ما تكون إلى صوت حيوان مفترس. وعندما يتوقف الصوت يسكت الجميع. جيدون لايسمع غير انفاسه ودقات قلبه».

جيدون: **(لنفسه)** ابتهج ياجيد. أنت على قيد الحياة... كن مرحا ... إنك تحيا... لقد انتهى الحفل... انتهى وأنت على قيد الحياة...

(يتلاشى الصوت تدريجيا)

المشهد الخامس

الوقت: بعد منتصف الليل

المنظر: كوخ الحارس الليلى.

مارتينوس جالس بمفرده . كل ما بقى من الحفل بضعة أصوات تعربد من بعيد مع

بارنى: **موسيقى غنوة « ليلة سعيدة يا حبيبتى » .** **(بصوت واهن من الإجهاد)** سيداتى : أوكى. لقد انتهى الحفل . وكل عام وأنتم بخير . أرجو أن تحضر بيانات تذكرتك والنقود إلى الكرافان . امنحهم فرصة أخرى يا جاكسون . ثوان ثم اطفئ الانوار . وأنت يا مارتينوس تأكد من أن الأبواب محكمة الإغلاق . نحن على مقربة كبيرة من أحبائنا . يجب أن يعطونا فى المرة القادمة مكانا أفضل حتى لانعود إلى هنا . الجمهور الذى جاء حتى فى ليلة رأس السنة يساوى فقط نصف الجمهور الذى جاء إلى السيرك فى دى إير فى الشهر الماضى. يجب أن يذهب هذا الجمهور الكبير إلى هناك ليتلقى دروسا فى كيفية الاستمتاع بالوقت . فمن المتعذر ذلك الليلة هنا .

(يتثاءب بصوت مسموع)

(بعد ثوان تتوقف الموسيقى فجاة . وتتلاشى الإضاءة تدريجيا : جيدون يرجع إلى مارتينوس . يقف لحظة صامتا . مارتينوس متأهب لنوبته الليلية ، مرتديا معطفا وبيده عصا .)

مارتينوس: **(بشئ من الضيق)** لقد انتهى الحفل أيها الرجل من البيض . انتهى البروجرام الليلة . عد إلى بيتك . أنت سمعت لحن « ليلة سعيدة يا حبيبتى » . إذن حان وقت ذهابك . **(يضحك)** نعم. ضاق كل شخص هنا عندما توقفت آلة السعادة وتلاشت الإضاءة . لكن .. لاتنزعج . تعال غدا . السيرك قائم ، ومارتينوس سوف يحرسه لك. سوف يحرس اللعب كلها . تعال وعاود اللعب بها، أما الآن فقد جاء دورى أنا. جاء دور مارتينوس زولو الحارس الليلى. أنت تريد أن تعرف. أجل. أو. كى. سأخبرك. **(بجدية)** أنا أعرف كيف أحرس المكان فى الليل متوقعا مواجهة بعض المشكلات. هذا هو عملى، على الرغم من أن الحسناوات يرقدن فى أسرتهن ويرين أحلاما جميلة. هذه طبيعة عملى... الحراسة ليلا وتوقع الأخطار، تعلمت من وقت طويل كيف أجلس مع الأشباح وأنصت إليهم متوقعا حدوث شىء ما. فى هذه المرة توقعت متاعب جمة... متاعب تزيد عن كون هؤلاء الأشباح هم عدد من الصعاليك السكارى يسعون إلى ارتكاب الخطيئة. بوسعهم أن يأتوا ويحاولوا ذلك، وسأتصدى لهم . **(يلوح بعصاه مهددا ثم يستدير ليذهب. جيدون يستوقفه)**

جيدون: إلى أين أنت ذاهب؟

مارتينوس: أزاول عملى.

جيدون: لن تذهب.

مارتينوس: (بدهشة) لن أذهب؟!

جيدون: لن تذهب إلى أى مكان.

مارتينوس: لمَ؟

جيدون: السبب هو أننى قلت لك ذلك. انتظر مكانك. لاتظن انك تستطيع أن تطفىء هذه المصابيح اللعينة وأن تقول لى عد إلى بيتك. قلت لك من قبل إننى لم أنه حديثى.

مارتينوس: (بسخرية) الحديث الذي بيننا قد انتهى أيها الرجل من البيض. (مشيرا ناحية السيرك) انظر. لم يبق أحد. قلت لك إن الميعاد انتهى.

جيدون: سيرك لعين. أنا أتحدث عنك وعني. هذا ما يشغلني الآن. أنت وأنا ببساطة وبلا تعقيد. أنت وأنا.. بيننا أشياء يجب تسويتها. آن أوانها في تلك اللحظة ... وهنا.

مارتينوس: (بحدة) لاشيء بيننا.

(جيدون يضحك)

مارتينوس: (بغضب) ماذا تريد أيها الرجل؟ ولم صممت على مجيئك هنا؟ إذا كنت تريد اختلاق مشكلات، فاختلقها مع ذويك.

جيدون: الويل لهم أيضا. أنا لا أكترث بهم. انما أكترث بك. أريد أن أختلق لك مشكلة ظريفة.

مارتينوس: لمَ؟ ما هو الجرم الذي ارتكبته؟ لاشيء.

جيدون: (يضحك بصوت مرتفع) لاشيء؟!

مارتينوس: نعم لاشيء. أنا جالس هنا في مقر عملي. أنت الذي تأتي وتذهب مرة بعد مرة. أنا لم أطلب أن تأتي ولم أخطيء تجاهك.

جيدون: ألم تخطيء تجاهي ياسوابو؟!

مارتينوس: أنا لا أدعى سوابو.

جيدون: في الوقت الحالي اسمك سوابو. سأناديك بهذا الاسم. من تكون إن لم تكن صديقي؟!

مارتينوس: اسمي مارتينوس زولو.

جيدون: (بسخرية) مارتينوس زولو. أهو اسم أحد المجاري المائية؟ عليك اللعنة.. عمن تتحدث؟! أنت بدون اسم. أنت مجرد رقم. رقم ١، أو ٢ أو ٣.. إلخ. أحصيتك ذات يوم سبعة وعشرين مرة. سحقا لهذا. وفي كل ليلة أدفنك وأنا نائم. إنك ياسوابو تقودني إلى الجنون. أتسمي هذا لاشيء.

مارتينوس: (بانفعال شديد) عال. عال. أنت مجنون. لن أحدثك. (يسير مبتعدا، جيدون يعترض طريقه)

جيدون: قلت لك لن تذهب.

مارتينوس: دعني وشأني.

جيدون: (بإصرار أشد) لا. قلت لك لن تذهب إلى أي مكان. حديثنا لم ينته.

مارتينوس: (أشد غضبا) لن أتحدث معك. ابتعد عن طريقي. اذهب إلى الجحيم.

جيدون: هيا افعل ذلك. اجعلني أبتعد عن طريقك. (يدفع مارتينوس ليعود إلى حيث كان)

مارتينوس: لاتدفعني هكذا.

جيدون: (يدفعه مرة ثانية) سأفعل ما أشاء.

مارتينوس: صه أيها الرجل من البيض.

جيدون: (يدفع مارتينوس مرة أخرى) مم تحذرني أيها الرجل من السود؟! هل تريد تخويفي؟! لاتغتر بنفسك. (يهدده بقبضته) سحقا لكل ما تقول أو تفعل لإخافتي. إن أردت أن تخيفني ابدأ فورا. (يتحرش بمارتينوس) ماذا تنتظر إذن ؟! دعني أرى ما يمكنك عمله. هيا.

مارتينوس: (يسارع بالهرب) لا يا جيدون. تريث. (يتمالك رباطة جأشه. يعود ويواجه جيدون) أنا أناديك باسمك يا جيدون لي روكس. أرجو الآن أن تسمعني. (يضع العصا بجواره) ها. لقد وضعت عصاتي جانبا. قلت لك إنني لا أريد أن أنبش وراءك.. فلاتنبش ورائي إذن. دعني وشأني إذا اختلق كل منا للآخر مشكلة في هذه الليلة أنا أعلم ما سيحدث.

جيدون: أو، أحقا تعلم؟!

مارتينوس: نعم.سأكرر ما قلت. (ناظرا إلى السماء) أهذا حقيقي. يا إلهي. هل ما قلت؟!

جيدون: (متعجبا) تكرر ماذا؟

مارتينوس: الوصية السادسة.

جيدون: الوصية السادسة الطيبة القديمة! لهذا أنا على حق أنت قتلت شخصا ما.

مارتينوس: قتلت رجلا من البيض.

جيدون: هل أنت مصر على أن تتحداني؟ أمازلت تبغي إخافتي؟!

مارتينوس: القتيل هو أندريز جيكوبس دي لانج. إنني قتلته.

جيدون: (يجفل) قل الحق. (يضحك) كيف قتلت ؟ في الواقع، هذه الموضوع مشوق جدا. (يضحك بصوت عال. ثم في تعجب مقرون بالضيق). إني فهمت. أدركت هذا كله. أدركت منذ أن قابلتك أن هناك شيئا ما... بيننا.. أنا وأنت. أنت على علم بذلك. وها قد اتضح الموضوع. أنت قتلت رجلا من البيض. إذن نستطيع أن نجعل تفكيرنا ينحصر في هذا الأمر.

مارتينوس: لا. لا يوجد شيء بيننا.

جيدون: (يضحك) آه. نعم. يوجد شيء بيننا (يغني)

لن أتركك.

لن أتركك تذهب أبدا،

آه. إني أحبك كثيرا.

(بجدية) قتلت من ؟ من الرجل الذي قتلته؟

(مارتينوس لايرد)

جيدون: اسمع يا سوابو. لدي الليلة آنية كثيرة في حاجة إلى غسيل. خير لك أن تبادر بالحديث. قل لي. ماذا حدث؟

مارتينوس: صديقتي كانت تقوم بالخدمة في بيت الرجل.

جيدون: (بزهو) هل رأيت؟ فهمت ذلك منذ الوهلة الأولى. أدركت أن المسألة بها امرأة.

مارتينوس: كانت صديقتي ثانديكا في بورت اليزابيث. وكان عملي هناك في مصنع للاسمنت. ادخرت قدرا من

المال للزواج، عاشت ثانديكا فى بيت أصحابه من البيض. وكانت تزورنى يوم الأحد من كل أسبوع. استمر الحال على هذا المنوال فترة. لكن ثانديكا زارتنى ذات يوم وكانت حزينة. سألتها عن السبب فرفضت أن تقول لى شيئا. وزارتنى بعد ذلك باكية. وعندما سألتها أجابت بأن أحد البيض يطاردها بإلحاح. (**صمت لحظة**) وأنت تعرف الباقى.

جيدون: وخالفت الوصية السادسة.

مارتينوس: الوصية السادسة. أنا لم أندم. عندما سألنى القاضى إذا كنت قد قتلت الرجل أجبته بأننى لو رأيت ذاك الرجل مرة أخرى لقتلته. فأصدر القاضى حكما بإعدامى وأن تسجن صديقتى خمسة عشر عاما، فالقاضى لم يصدق ما روته له صديقتى واتهمنا بأننا قتلنا الرجل لنسرق بيته.

جيدون: ولماذا لم يشنقوك؟

مارتينوس: أوشكوا على ذلك. وامضيت حوالى ستة شهور بالسجن انتظر تنفيذ الحكم. وقبل الموعد بثلاثة أيام ذهبت زوجة الرجل إلى القاضى وأخبرته بأن الفتاة لم تخالف الحقيقة. واعترفت له بما فعله زوجها مع خادمات أخريات. فعدلوا الحكم علىّ إلى السجن خمسة عشر عاما. والإفراج عن ثانديكا. ومنذ ذلك الحين لم أر صديقتى. تلك هى حكايتى.

جيدون: (**باستهزاء**) أهذه حكاية أيها الرجل! إنها دعابة سخيفة. بل مزحة رديئة. ألهذا السبب قتلت ذلك التافه المسكين؟! هل قتلته لأنه أرغم صديقتك؟ (**يقهقه**) أما أنكم أناس مضحكين! (**يغير لهجته**) اصغ إلىّ يا صديقى. لو أن إرغام صديقتك على هذا العمل فعلة شنعاء على هذا النحو، لكان عليك أن تطعن الكثيرين من البيض... وكنت ستبدأ بى. نعم. ماذا دهاك أيها الرجل؟! هل ولدت بالأمس فقط؟ نحن جميعا نفعل ذلك. هل تريد أن تعرف شيئا آخر؟ النساء يا سوابو يرغبن فى ذلك. كانت صديقتك تبكى بدموع التماسيح. أراهن بأى شىء على أنها قضت معه وقتا طيبا.

(**يتجهم وجه مارتينوس ويقاوم رغبته فى الهجوم على جيدون**)

جيدون: هل فهمت الآن قصدى؟! إذا أردت أن تقتل ذلك الرجل مرة ثانية فها هى الفرصة الآن سانحة أمامك. (**صمت لحظة**) هيا. ماذا تنتظر؟ لن تفقد شيئا ياسوابو. اقتل مرتين. تذكرتك لاتجاه واحد. لن تلقى فى الجحيم مرتين. (**بسخرية**) هل تعتقد أنك أصبحت مهما لأنك قتلت أحد البيض؟ أهذا دافع لقتل شخص؟ أعتقد أنك ربما تجعل الآن الدافع إلى القتل دافعين. واحد.. اثنان.

(**يضحك**) بالهذه الدعابة السخيفة! أيها الرجل، أنت مازلت من الهواة. ما فعلته يعتبر لعب أطفال. إنى قضيت بالوحدات المتقدمة هناك على الحدود حوالى عشرة أعوام. وكنا نبعث إخوانك المدافعين عن الحرية هؤلاء إلى الجحيم. إنى لا أتحدث عن شخص أو شخصين. إنما عن عدد أكبر من الأشخاص. فى يوم قائظ أرسلنا إلى العالم الآخر سبعة وعشرين رجلا. سبعة وعشرين ملعونا. هل عندك أدنى فكرة عما يعنيه ذلك؟! وما شعورك عندما تعد سبعة وعشرين متوفيا؟ هذا يا صديقى يجعل الإنسان يصاب بالغثيان. هؤلاء البشر ممتلئون شرا. لا أقصد سياستهم، إنما أقصد أجسادهم. وتخيل أنت إذن ما تفعله حرارة الشمس بعد ذلك. (**بحماس شديد**). وعندما ينتهى كل شىء - إطلاق الرصاص والصراخ وكل هذا الضجيج اللعين يبدو العالم كأنه وصل إلى نهايته. فيسود الهدوء فجأة كما هو الحال الآن. والتقط نفسا عميقا وأقول لنفسى: «لكنك مازلت حيا يا جيد»: وأسير هناك وأنا أرتعد. كنت دائما أرغب فى معرفة عددهم. حتى قبل أن تطلب اليونيسيف قائمة الأعداد وكنت أعدهم. لديك ما تحتاجه من وقت لأن تسير متمهلا وبحذر، وتحصى الرجال كما تعوّد أبى أن يحصى الكرنب فى الفناء الخلفى للبيت. كان أبى يحب الكرنب الذى تطهوه لنا أمى مع قطع اللحم الضأن الشهية. كان هذا الطعام يجعله نشيطا متوقد الذهن مثل حيوان الإمبالا. لذلك كان أبى فى كل صباح يقول لى: «هيا ياجيدون. هيا بنا نذهب لعد ما لدينا من بركات.» فكنت أمسك يده وأسير وراءه وأقول بعده فى صوت خفيض «كرنبة، اثنتان، ثلاث... الخ» فتعلمت الأعداد أيها الرجل، حتى قبل ذهابى إلى المدرسة عرفت كيف أحصى ما عندنا من بركات. وهذه البركات لم تعد الآن كرنبا. إنما هى أحد السوابو. (**يمد يده إلى مارتينوس الذى ينظر إليه بدهشة**)

جيدون: إذن، أين إحساسك بالفكاهة؟! هذه دعابة. ألم تنتبه إليها؟! السوابو كالكرنب. كنت أعد الرجال كما كان أبى يعد الكرنب. (**آمرا**) لاتقف محدقا إلىّ هكذا مثل قرد لعين. (**يضحك**).

مارتينوس: لا.

جيدون: (**غاضبا**) ماذا تقصد بكلمة لا؟ هذا يا رجل مزاح سخيف، سبعة وعشرون سوابو كأنهم سبع وعشرون كرنبة فى مزرعة.

مارتينوس: (**بسخرية مريرة**) إذن لم لاتضحك؟

جيدون: هل تريد أن تسمع ضحكا؟ حاضر. (**يفتعل ضحكة يكتشف أن صوتها كالأنين فيتوقف**

عن الضحك)

مارتينوس: لا. أنت لاتضحك. (بتأن) ما خطبك ؟ وماذا فعلت الليلة؟ إنك أتيت إلىّ وأنا لا أريد أن أقابلك. قلت لك ذلك من قبل. لكنك رجعت. رجعت المرة تلو الأخرى. وتسببت فى مشكلة، أردت أن تجعلنى أقتلك. وقلت لى إنك تسخر من الأموات. غير أننى رأيت أنك ادعيت ذلك. فلماذا؟ لم قلت لى ذلك؟ ولماذا تريد أن تجعلنى أصدق ما قلت؟ **(جيدون لايرد)**

مارتينوس: تذكرت أننى كذبت ذات مرة. كنت صغيرا وكان أبى خارج البيت فى عمله. هشمت زجاج نافذة بيتنا. كنت فى شدة الخوف لأن أبى مسيحى متدين. لذلك أخبرته بعد عودته بأن بعض الصبية كانوا يلعبون فى الشارع هشموا زجاج النافذة. حاولت أن أجعل أبى يصدق دون جدوى. فقد أدرك أننى كذبت ، عندئذ تواريت عنه وبكيت. وعندما مر الموقف مرور الكرام وتوقفت عن البكاء قال أبى: بكيت بسبب زجاج النافذة المحطم. لكن لديك سبب آخر للكذب وإخفاء حقيقة ما حدث. فهل أنت أيضا كذبت لنفس السبب؟ هل أنت مثل مارتينوس الصغير أدرت أن تخفى شيئا ما ؟ **(يضطرب بسبب أفكاره)** لا. لا. مارتينوس دعك من هذا . دعك من هذا الآن . اذهب إلى عملك. دع هذا الرجل. دعك من هذا الهراء. **(يسير مبتعدا)** أيها الرجل من البيض.. عليك اللعنة سأراك فى الجحيم. هه: قلت لك أيها الرجل من البيض عليك اللعنة. **(جيدون لايرد. مارتينوس يعود)**

مارتينوس: **أو. كى. أريد أن ألقى عليك سؤالا أرجو أن تجيب عنه بصراحه . ما شعورك الحقيقى إزاء ذلك ؟**

جيدون : دعنى وشأنى.

مارتينوس: **(بإصرار) لن أتركك . لابد أن تخبرنى الآن. يجب أن تقول الحقيقة. ما هو شعورك الداخلى تجاه ذلك؟**

جيدون: **(متهكما)** شعورى؟!: **(أكثر جدية)** لدى مشاعر لعينة تجاه الإفريقى. يمتزج فيها الشر بالبغضاء . فماذا تريد منها؟

مارتينوس: الإحساس الذى تحس به الآن. إحساسك بما ارتكبت من جرم. إحساسك تجاه القتلى. السبعة والعشرين قتيلا.

جيدون: **(كمن لدغته حية)** كلا. دعنى وشأنى . اذهب إلى عملك عليك اللعنة اذهب إلى أى مكان.. المهم أن تذهب. لاشيء بيننا. أنت على حق. **(صمت. يبدو التصميم على وجه مارتينوس، يجلس)**

مارتينوس: إصغ إلىّ. سأخبرك بشيء آخر . وأنا فى السجن انتظر تنفيذ الحكم بإعدامى زارنى الكاهن.. القس بدينهورت. ثم كان يزورنى يوميا فى السجن وبيده الإنجيل : قرأ لى الوصايا العشر - وبالأخص الوصية السادسة. «يجب ألا تقتل». قال لى: «أنت أذنبت يا مارتينوس. قتلت رجلا. لكنك إن صليت ورجوت الله أن يغفر ذنبك . فسينظر إلى قلبك ويغفر لك إذا كنت حقا قد ندمت». قلت له: «إننى غير نادم.» فقال لى: «إذن ستلقى فى الجحيم يا مارتينوس.» قلت له: «لن أستطيع أن أمنع ذلك أيها الكاهن. سأذهب إذن إلى الجحيم . لكننى لا أشعر بندم.» لم يصدقنى وقال لى: كلا. ليس الموضوع على هذا النحو . أنت إنسان خيِّر يا مارتينوس. انظر إلى أعماقك . أنا أعرف أنك ندمت على ما فعلت . قلت له: اصغ أيها الكاهن . ما قلته للقاضى من قبل سأقوله لك الآن. لو أننى أقابل هذا الرجل من البيض غدا سأقتله. يسرنى أن أقتله مرة ثانية.»

ضاق الكاهن بإصرارى فصلى من أجلى وجثا على ركبتيه وتوسل إلى الله ليجعلنى أحس بالندم دون جدوى.. لأن ذلك لم يحدث أبداً. وظللت طوال الأعوام التى قضيتها فى السجن أو التى جلست فيها هنا بجوار المدفأة أسأل نفسى: «ماذا يجعل الإنسان منا يحس بالذنب؟ ولم لم أحس أنا به؟ إن جوبى النجار بالسجن، والذى كنت ساعده الأيمن شعر بالذنب عندما قتل أباه. فكان يحدثنى عن أبيه طول اليوم ويبكى. وجاكسون إكسابا الذى صدر عليه الحكم بالإعدام لارتكابه أربع جرائم اغتصاب وقتل شعر بالذنب. لكن أنا...

(يطرق بيأس) قال الكاهن ستجد هذا الإحساس كامناً فى أعماقى، فحاولت أن أتأمل ما بداخل أعماقى. وكنت أجلس هنا طول الليل أتأمل. فوجدت لدى إحساسات مختلفة عن الإحساس بالذنب. تذكرت ثانديكا، وزرت الأماكن التى زرناها معا فأحسست بأسى بالغ. غير أن جلوسى بجوار المدفأة وارتشاف الشاى الدافيء عندما تشتد برودة الجو يشعراننى بالارتياح. وإحساسى تجاه الخبز واللحم.. والمطر.. بالروعة الأمطار التى تنهمر وسط جو كيرو الجاف. ووجدت أن لدى إحساساً ماتجاه الكلاب الميتة. لكن أندريز جيكوبس دى لانج، الرجل الذى قتلته لم أجد لدى نحو إحساساً ما. وها أنت ذا الآن. **(يومىء نحو جيدون برأسه فى عدم تصديق)** لابد أنك شعرت بالندم . أحسست بالذنب نحو الذين قتلتهم. ألم تجرب أنت هذا الإحساس؟

مارتينوس: **(جيدون يبتعد عن مارتينوس)**

متى أحسست نحوهم بالذنب؟ هل أثناء القتل.. هل

جيدون: بعد أن قتلتهم؟ ومتى كنت تحصى القتلى؟

(بيأس) وما الفارق الذى يصنعه هذا الإحساس

إن وجد؟ هل وجدت فارقا؟ **(بلهجة بها بعض الصدق)** في ذلك الحين لم يكن لدى إحساس ما. عندما تكون وسط المعركة وتضع إصبعك على الزناد، ستجول في ذهنك فكرة واحدة. هي «أن تظل حيا». لذلك ستدع الأمور تسير هكذا. وسيكون بداخلك إحساس واحد. هو نوع من الوحشية والقسوة. أعنى انك في الواقع ستكون أقرب شبها إلى الإنسان المتوحش. (صمت لحظة) على كل لم نكن نستريح . ولم نجد لدينا وقتا للتفكير لاننا ظللنا نطاردهم. منذ بضعة ايام رجعنا إلى هذه الطريقة. سحقا لها. إنها طريقة مرعبة يا رجل. ونحن نفعل ذلك رأيت امرأة عجوز تخرج من كوخ هناك وتقف لترقبنا. لم تكن تفعل شيئا أو تقول شيئا. إنما فقط ترقبنا. انتابنى إحساس غريب. ذكّرنى طول الوقت بشئ لم أستطع أن أتذكره وظلت العجوز طول اليوم واقفة هناك ترقبنا. لم أتحمل أكثر من ذلك. صرخت أهددها وأطلب منها أن تبتعد . عندئذ تذكرت فجأة الشيء الذي أردت أن أتذكره . وهو أننى أثناء شبابى ذهبت مع أبى وأمى لقضاء العطلة على شاطيء خليج موسيل. كنت أنا وأبى نحمل السنارة يوميا ونهبط إلى الصخور. كان أبى يضع الطعام في السنارة ويلقى بها في الماء وينتظر إلى أن تلتقط سمكة كبيرة الطعم. وكنت أنا أصطاد الاسماك الصغيرة من الماء القريب من الشاطيء ليستخدمه أبى كطعم . لكن في يوم ما اصطدت سمكة كبيرة فرحت بها . وبعد أن شققت بطنها خرجت المئات من الأسماك الصغيرة أخذت تقفز فوق الصخور. أسماك صغيرة في هذا الحجم **(يحدد الحجم بإصبع من كلتا يديه)** بها نقر صغيرة مكان العيون قفزت حولى على الصخور. وكانت السمكة الكبيرة تحرك ذيلها هناك على الصخور رغم ما بها . تأملت ذلك وأدركت أننى ارتكبت جرما كبيرا. إنك على أى حال سوف نتأمل هذا الموقف سواء كنت تؤمن بكل شيء عن الجنة والجحيم أم لاتؤمن. المهم في الأمر أننى ارتكبت جرما. أنت لاتستطيع أن تفعل ما فعلت بأم وأبنائها بصرف النظر أن تكون هذه الأم سمكة أو كلبا أو حتى شخصاً آخر المهم أننى ارتكبت خطيئة **(صمت برهة)** ربما كان ابن هذه المرأة واحدا من الذين قتلتهم . لهذا وقفت ترقبنى. تأثرت بموقف المرأة. لم أبك من قبل حتى وأنا صغير . أسرعت إلى الكوخ ولم أجد المرأة.

وبحثت عنها وأنا أنادى عليها . لكنها هربت. ووجدونى في اليوم التالى هنا . وأخبرونى بأننى أسير ذاهلا عما حولى.

مارتينوس: وماذا كنت تريد من المرأة العجوز ؟

جيدون: أردت أن تحدثنى عن الشاب . وأن أقول لها إنه كان على بينة بالصواب من الخطأ . إنى لا أعرف ما حدث له.. ولا ماهو الخطأ في حياته .. وأشياء أخرى . كنت سأطلب منها أن تصفح عنى . لكنها هربت.

(صمت لحظة. ينتبه مارتينوس)

مارتينوس: إذن ، الأمر واضح. لذلك عدت في هذه الليلة المرة تلو الأخرى. الصفح والغفران.

جيدون: نعم.

مارتينوس: **(بسخرية مريرة)** وبعد أن قتلت من قتلتهم.

جيدون: نعم.

مارتينوس: كم عدد من قتلت؟

جيدون: لن يختلف الأمر كثيرا أيها الرجل. إن قتلت شخصا كأنك قتلت الناس أجمعين.

مارتينوس: لقد تضاعفت سادس وصية سبعة وعشرين مرة. وقلت إنها ستتضاعف أكثر من ذلك.

جيدون: نعم.

مارتينوس: لا. هذا كثير جدا أيها الرجل من البيض. أنا مجرد خفير. اذهب أنت وتوسل إلى الله أن يغفر لك.

جيدون: دعك من هذا يا رجل في هذه الليلة أنت وأنا. العالم كله هو أنا وأنت. هنا. الآن. **(في غضب وشعور بالمرارة)** هل تعتقد أننى أريد أن تسير الأمور بهذه الطريقة؟ هل تعتقد أننى لو أتيحت لى الليلة فرصة اختيار الرفيق كنت سأختيرك أنت؟ أنا غير محظوظ هكذا. لقد التقينا أيها الرجل وليس لنا اختيار. فلتنته المشكلة إذن. اغفر لى أو اقتلنى. هذا هو الاختيار الوحيد أمامك.

مارتينوس: إن غفرت لك ينبغى أن أغفر لأندريز جيكوبس دى لانج. وإذا غفرت له يجب أن أتضرع إلى الله كى يغفر لى... ماذا سيبقى لى إذن ؟! لا شيء. سأجلس هنا دون أن يشغلنى شيء... الليلة... والغد... طوال الأيام والليالى... لاشيء . **(يحتج بشدة)** لا. إنك حدثتنى عن الغفران بعد فوات الأوان. كأنك قلت الآن، «لقد حدث ما حدث وانتهى كل شيء. ارتكبنا ما نهتنا عنه الوصية السادسة، إذن دعنى وشأنى. سنذهب إلى الجحيم. وهو نهاية المطاف. **(صمت. يحس بأسى)** هيه. لم أثرت مواجعى أيها الرجل من البيض! **(كأنه يحدث نفسه)** أن أغفر لك أو أقتلك. ماذا أعرف عن الغفران؟ لاشيء. قلبى يعرف كيف يمقت أندريز جيكوبس دى لانج. هذا كل ما يمكننى أن أعرفه. لكن .. هل أقتلك؟ لا. لا أدرى إن كان بوسعى أن أقتل مرة ثانية. **(صمت لحظة)** أنا قتلت رجلا واحدا فقط. غير أننى قتلته عدة مرات. في كل ليلة وأنا جالس هنا يخيل إلىّ أننى أنتظره. وأننى سأقتله عندما يأتى ... مرة تلو الأخرى... أقتله عدة

مرات.

جيدون: نعم. إنى خبرت هذا الشعور. هذا يجعل النيران تشتعل. أليس كذلك، ستقتل شخصا وينتهى أجلك عاجلا أو آجلا. وتصير جثة مثل إحدى الجثث الملقاة هناك عند الحدود إلى جانب من الطريق. **(صمت لحظة)** أين يكمن الخطأ هنا بحق الجحيم أيها الرجل؟ لم يكن هدفك أن تسير الأمر على هذا النحو أليس كذلك؟ ما أعنيه هو أنك هل تريد أن

جيدون: تقضى حياتك كلها تمقت شخصا واحدا. وأن تروِّعه كل ليلة فى تلك الحجرة التى قتلته بها؟

مارتينوس: كلا. أريد أن يكون لدى اهتمامات أخرى فى الحياة.

جيدون: وأنا لا أريد أن أقضى حياتى كلها أمقت نفسى. لكن بالنظر إلىَّ. هذا هو كل ما افعله حاليا ، وأى شىء أخر هراء. أنا أحاول أن أجعل الأمر يبدو كأننى شغلت بأشياء تشغل أى شخص آخر.. فأصحو من النوم، وأذهب إلى عملى وأداعب الآخرين وأجادل رئيسى وأعود إلى البيت أتناول طعام العشاء وأشاهد مع أمى برامج التليفزيون... لكن... هذه كلها مظاهر. وأعماق نفسى مازالت هناك ... عند الحدود. مازلت أرى كل ليلة فى أحلامى المزعجة كوخ تلك المرأة .. وبحثى عنهما وعدم العثور عليها **(بسخرية مريرة)** «أنت ياجيد على قيد الحياة» يالها من دعابة لاذعة . أنا متوفى مثل من قتلتهم من الرجال. وأنا أيضا أزعج المكان الذى ارتكبت فيه جرائمى. **(صمت.يظهر اول خيط من خيوط ضوء نهار جديد)**

جيدون: بحق الجحيم لقد طلع النهار. هل تحدثنا كل هذا الوقت؟!

مارتينوس: نعم. تحدثنا لوقت طويل.

جيدون: **(يتامل منظر مارتينوس)** ها أناذا قد استطعت أن أراك أيها الرجل الكسول، انت قبيح المنظر

مارتينوس: وتافه.

جيدون: وأنت أيضا.

لقد تعودنا أنا وأبى أن نستيقظ مبكرين، ونغير ملابسنا ونفتح باب الحظيرة ونسمح للحمام بالخروج منها فى الصباح الباكر قبل الشروق.. حتى فى الشتاء. ثم نذهب إلى المطبخ ونعد القهوة، ونحملها إلى الفناء الخلفى ونشهد الحمام وهو يطير. ويحلق أحيانا فى الشمس، وتظل نحن جالسين فى الظل. لا ادرى لِمَ كنا نضحك. ما أدركه هو أننا كنا نقف هناك نرشف القهوة ونشهد مناورات سرب طائرات كيرو فى وقت الضحى... ونضحك كثيرا. لم نكن نفتعل الضحك. إنما كان الضحك حقيقيا نابعا من أعماقنا. أليس كذلك؟

(مارتينوس لايرد)

جيدون: هذا صباح يوم جديد. فى العام الجديد. هل قدمت لك فى الليلة الماضية تهنئتى لك بالعام الجديد السعيد؟

مارتينوس: لا.

جيدون: يقال إن التأخير أفضل من لاشىء. أتمنى أن يكون عاما سعيدا.. وماذا أيضا ؟ ... فى الحقيقة.. شكراً لك على هذه المحارثة.

(الرجلان مترددان برهة. جيدون يستدير ويسير مبتعدا)

مارتينوس: **(بانفعال)** كل هذا فى الجحيم . لابد أن أخبرك بشى.

جيدون: ماهو؟

مارتينوس: ينبغى علىَّ أنا أيضا أن أرى الحمام وهو يحلق عاليا كما قلت لى. أنا أيضا أرغب فى أن أبصر ذلك.

جيدون: **(بعدم تصديق)** ماذا قلت أيها الرجل؟

مارتينوس: قلت لك إننا عندما نقيم السيرك هنا فى المرة القادمة فى أعياد الكريسماس مثلا أو فى رأس السنة أريد أن أصنع ما صنعت. أنظر إلى السماء وأشهد الحمام وهو يحلق عاليا فى السماء وارشف الشاى وأضحك.

جيدون: أحقا تعنى ذلك؟

مارتينوس: إنى قلت ذلك متعمدا. فليذهب الخوف إلى الجحيم. . أنت على قيد الحياة. اذهب إلى بيتك ونفذ ما قلته لى. جهز الواح الخشب والمسامير والمطرقة وثبت الحظيرة. واشرع من جديد فى شراء الحمام . **(صمت لحظة)** هل ادركت ما قلته لك يا جيدون لى روكس؟

جيدون: أجل . فهمت يا مارتينوس زولو.

مارتينوس: هل استوعبته جيدا؟

جيدون: نعم . أعتقد ذلك. وأنت أيضا أيها الرجل. غادر هذه الحجرة الضيقة. اترك شبح أندريز العجوز هناك هذه الليلة بمفرده. هل فهمت قصدى يا مارتينوس زولو؟

مارتينوس: نعم . فهمت.

جيدون: **(بسرور)** رائع ، برهن لى أيها الرجل على أنك إنسان تحيا ولست شبحا ادفع معى السيارة الصغيرة اللعينة. أعرف أنها لن تتحرك مرة أخرى. فقد تعبت بسببها طوال الأسبوع الماضى دون أن أعرف لها علة . ذهبت بها فى هذا الشهر إلى الجراج مرتين بلا جدوى.

(الرجلان يسيران متجاورين ويتجهان إلى الخلفية)

النهاية